

الباب الثاني؛ حياة ابن المقفع وكتابه كليلة ودمنة

الفصل الأول : حياة ابن المقفع

1. أسرته وأصله

أجمع المؤرخون والباحثون على أن ابن المقفع من أصل فارسي، عاشت أسرته في قرية "جور" التي تعرف الآن بـ"فروزباد"¹ - وهي تقع على مقربة من مدينة شيراز - وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن موطن ابن المقفع كان بلده "خور" بالزاي المعجمة، ويزعمون أنها هي مدينة "خوزستان"، التي يسميها العرب "أهواز"، وهي إحدى المحافظات الإيرانية الواقعة في الجنوب بالقرب من مدينة البصرة، حالياً غير أن الجهشيارى في كتابه "الوزراء والكتاب"، وابن النديم في كتابه (الفهرست ص 178) يصرحان بأنه من بلده "جور" بالجيم والراء المهملة من أعمال فارس شيراز، ويقول الأستاذ ملك الشعراء بهار في كتابه "سبك شناسي"، (ج 1 ص 153) إن "جور" معرب "كور" ومن هنا يعتقد محمد غفراني الخراساني أن تشابه اللفظ بين "جور" و "خور"، كان سببا في هذا الالتباس والتحريف ومهما يكن من أمر فإن الباحثين الإيرانيين يكادون يجمعون على أن موطن ابن المقفع كان قرب مدينة شيراز "محافظة إقليم فارس"².

¹ عبد اللطيف حمزة، ابن المقفع، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي، ص 36.

² محمد غفراني الخراساني، عبد الله ابن المقفع، الدار القومية للطباعة والنشر، ص 62.

ويختلف المؤرخون في اسمه واسم والده فيروي أغلبهم أنه كان يطلق عليه روزبه (Ruzbah) ومعناه بالفارسية السعيد المبارك في كل أيامه وهو مركب من "روز" بمعنى يوم و "به" بمعنى حسن، وأما والده فكان يسمى داذويه (Daduwh) وفي ذلك المعنى يقول الزبيدي. أبو محمد عبد الله بن المقفع فصيح بليغ، وكان اسمه "روزبه" أو "داذجشنس" قبل إسلامه. والقول الأخير في اسمه قد ذكره ابن المقفع نفسه في كتابه اليتيمة. ويقول ابن النديم: اسمه بالفارسية "روزبه" وهو عبد الله بن المقفع³. ويكنى قبل إسلامه أبا عمرو، فلما أسلم اكتنى بأبي محمد والمقفع ابن المبارك. بيد أن أحدا من الباحثين لم يستطع الوصول إلى القول الفصل في تسمية ابن المقفع، فلا طائل في مناقشة هذا الخلاف.

واسم ابن المقفع الذي عرف به هذا الطفل منذ ميلاده إلى اليوم قد ورثه عن أبيه فيما يرى الباحثون والمؤرخون ويقول ابن خلكان: إن والده كان جابيا لخراج فارس من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي والى العراق (75-95هـ)، ولما مد يده فيما قيل إلى التلاعب بالأموال وصرفها في البذل، والترف استثار غضب الحجاج، فأمر بضربه ضربا مبرحا حتى تقفعت يده، فسمى بذلك المقفع ثم سمى به ابنه الذي صار لقباً له واشتهر به، وهناك رواية أخرى تفيد أن والد ابن المقفع كان جابيا لخراج فارس من قبل خالد بن عبد الله القسري والى العراق، ولما تولى يوسف بن عمر الثقفي العراق بعده غضب عليه فأمر بضربه حتى تقفعت يده.

2. ميلاده

³ <http://poetraboemi.wordpress.com/2008/03/15/kalilah-wa-dimnah-fabel-hikmah-dan-inspirasi/>

يذهب المؤرخون مذهب شتى في تاريخ ميلاد ابن المقفع مما يستحيل معه القطع برأي معين في مولده، ويذكر الكثيرون أن مولده كان على وجه التقريب عام (106 هـ/724 م)، وقد يؤيد ذلك ما رواه ابن خلكان في كتابه "وفيات الأعيان" من أنه عند ما قتل ابن المقفع كان قد بلغ من العمر ستا و ثلاثين سنة. بينما يقول في موضع آخر من الكتاب : إن مقتله كان في حدود سنة (142 هـ) وهو أرجح الآراء في تاريخ وفاته.

وهذا يعارض ما ذكره البلاذري في كتابه "فتوح البلدان" إذ يقول: إن عبد الله بن المقفع قد تقبل في عهد خلافة سليمان بن عبد الملك (66 هـ - 99 هـ) جباية خراج بعض ولايات دجلة وقيل بهقباد من قبل صالح بن عبد الرحمن السجستاني كاتب ديوان الحجاج بن يوسف الثقفي - وهو أول من نقل الديوان من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية - وعلى ما ذكره البلاذري يكون عبد الله بن المقفع لا يزال لم يتجاوز العقد الثاني من عمره وهو في مقابل الثياب في عهد سليمان ابن عبد الملك، وعلى أقل تقدير تكون سنة في بدء خلافة سليمان ستة عشر عاما، فيكون مولده نحو عام (80 هـ) إذ ليس من المعقول أن يتولى الخراج من هو دون ست عشرة سنة على أقل تقدير، فيكون عمره على هذا الأساس عند مقتله قد تجاوز الستين ويؤيد ذلك ما رواه الجهشياري في كتابه "الوزراء والكتاب" إذ يقول: إن ابن المقفع كتب في ديوان عمر بن هبيرة، ومن المعلوم أن عمر بن هبيرة قد عزله هشام بن عبد الملك عن ولاية العراق سنة خمس ومائة من الهجرة، ولو فرضنا أن ابن المقفع كان يومذاك يبلغ الرابعة والعشرين فيكون ميلاده نحو عام (80 هـ)، ونستنتج

مما ذكره هؤلاء المؤرخون أن تاريخ مولده يحوطه الغموض ولا يمكن أن نجزم على وجه الدقة والتحديد بتاريخ معين خرج فيه ابن المقفع إلى نور الحياة، ولكننا نستطيع أن نطمئن إنه عاش في النصف الأول من القرن الثاني الهجري. ورحج محمد غفراني في كتابه أن ميلاده كان عام (80 هـ) لا عام (106 هـ)⁴، ويؤيد ذلك تراث ابن المقفع وإنتاجه الغزير، ومكانته الضخمة التي وصل إليها في عصره.

3. طفولته و نشأته

أ- ولد هذا الطفل الفارسي في جور من أبوين فارسيين يبدو أنهما كانا يعيشان في ترف ونعيم، فأبوه موظف في الدولة له مكانته، وله موارد التي تعيش بها أسرته، ونستنتج من ذلك أن هذا الطفل الصغير شاهد الحياة أول ما شاهد في جو تحيط به السعادة والرفاهية من كل جانب، ولا شك أنه كان يلقى من أبويه عطا وحنانا كبيرين، وأن حياته الأول كانت خالية من العقد والمتاعب مما هيا له فيها بعد فرص الاستقرار والهدوء والعكوف على الثقافة والمعرفة.

ب- أما نشأة ابن المقفع فكانت كذلك امتدادا لمرحلة الطفولة في حياته، فقد نشأ في إقليم فارس في ظلال أبويه، وترعرع في أحضانهما، وأخذ يتعلم اللغة الفارسية والفهلوية، ويتعرف تدريجيا إلى أصولها، ويلم رويدا رويدا بخصائصها. ويدرس إلى جانب ذلك الحضارة الإيرانية التي ضربت سراقها على إقليم فارس، فأحاط بمعالمها في عصر الدولة الساسانية

⁴ محمد غفراني الخراساني، عبد الله ابن المقفع، ص 65

الذي كان من أزهى العصور الفارسية تقديماً ومدنية. ثم ألقى عصا القسيار في البصرة، وكانت وقتئذٍ منتدى العلماء والأدباء، ومنبت فحولها ومقر الرواة والمحدثين من الشعراء والكتاب، فتلقى فيها مبادئ الفصاحة، وتعلم فيها فنون البلاغة، ثم خالط الأعراب الذين كانوا يفتنون إليها من البادية، فأخذ اللغة والشعر عنهم، وزاد محصوله من التراث الأدبي القديم، كما كان يجالس الأدباء والشعراء في المربد فسلس لسانه، ورقت ألفاظه وعذبت معانيه، وتدرّب على أساليب الفصاحة العربية أيضاً عن طريق اتصاله بالاهتم، وهم أهل فصاحة ولسن، فقوم ذلك من لسانه. وفي ذلك يقول ابن النديم: كان أبو الجاموس أحد فصحاء العرب يفتد البصرة على آل سليمان بن علي، فأخذ عنه عبد الله ابن المقفع الفصاحة، واغترف من بلاغته. فكانت تلك النشأة المزدوجة لها أعظم الأثر في تكوين ابن المقفع تكويناً نادراً إذ جمع بين القانتين العريقتين الفارسية والعربية، وساعده على التمكن من الآداب العربية حدة ذهنه، وعمق دراسته للآداب الفارسية، ونيله منها محصولاً كبيراً لم يكدره أحد من معاصريه. وكان ابن المقفع مثلاً حياً في النبوغ والعبقريّة، تتراءى عليه مخايل الذكاء منذ نعومة أظفاره. ويروى محمد بن سلام عن مشايخه: ولا كان في العجم أذكى من ابن المقفع أجمع، فأنتج في الأدب العربي نتاجاً جديداً، ونقل خير ما رأى باللغة الفهلوية إلى اللسان العربي، وبذلك أخذت هذه الترجمات تطبع

الأدب العربي في عصر المخضرمين والمحدثين
بطابع جديد.

4. ابتكاره

وابتكار ابن المقفع كثير جد، بل إنما يقال أن ابتكاره الذي وجد حتى الآن إلا خمسة⁵ وهي الأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصاحبة واليتيمة في طاعة السلطان وكليلة ودمنة.

ولكن من كل ابتكاره الذي كان من الترجمة هو كليلة ودمنة المشهور حتى الآن. وهذا الابتكار معرب من اللغة الفارسية. ولو أن هذا الابتكار ترجمة من بيدبا بل لا يغير ابن المقفع الموضوع المضمون في الابتكار الأصلي، إنما هو يضمن عدة القصص في هذا الابتكار.

⁵ <http://poetraboemi.wordpress.com/2008/03/15/kalilah-wa-dimnah-fabel-hikmah-dan-inspirasi/>

الفصل الثاني : لمحة عن كليلة ودمنة

يصنف كتاب (كليلة ودمنة) ضمن (الفابولو) أو القصة على لسان الحيوان والقصص الحيواني حكايات رمزية قصيرة – ربما طالت – تتضمن الأقوال والأفعال المعزوة إلى الحيوانات، والقصد منها تهذيب الأخلاق وتقويم السلوك وإذاعة الآداب الراقية بأسلوب مؤثر شائق. فهي حكاية ذات مغزى خلقي وتعليمي تحكى على لسان الحيوان أو النبات، وتتضمن مضمونا إنسانيا شاملا وقد يضيق هذا المضمون فيقتصر على مجتمع محدد من المجتمعات⁶.

وقد اتفق المؤرخون على أن أقدم القصص في العالم كتاب "بنجاتنتر" (Panca Tantra)، وكان الكتاب يسمى أولا، نيتى شاستر أى كتاب السياسة وألفه البرهمى "وشنوشرما" وقام الفرس بترجمة هذه القصص من اللغة السنسكريتية إلى اللغة البهلوية، وأضافوا إليها قصصا أخرى هندية وفارسية، وعملوا من مجموع هذه القصص كتاب "كليلة ودمنة" وعندما نقل الكتاب إلى اللغة العربية زيدت على تلك القصص حكايات أو فقرات لم تكن موجودة في اللغتين السنسكريتية والبهلوية، والذي نستخلصه من هذه المقدمة أن الكتاب ينقسم إلى ثلاثة أقسام⁷:

القسم الأول : القصص الهندية وهي تشكل أساس الكتاب.

⁶ ليلى حسن سعد الدين، كليلة ودمنة في الأدب العربي، مكتبة الرسالة، عمان ص 149.

⁷ محمد غفراني الخراساني، عيد الله بن المقفع، الدار القومية للطباعة والنشر، ص 214.

القسم الثانى : القصص الفارسية (الفهلوية).

القسم الثالث : القصص التى أضيفت إلى الكتاب بعد نقله إلى اللغة العربية بواسطة ابن المقفع وغيره.

وكتاب كليلة ودمنة هذا يشتمل على ستة عشر بابا منها ما عملها الهنود وهي عشرة أبواب، وما أضافه الفرس إليها ستة أبواب، ويأتى ذكرها.

ويفهم من كلام هؤلاء المؤرخين والمترجمين أنفسهم أن الخلاف في عدد أبواب الكتاب كان قائما منذ ترجمة الكتاب إلى اللغة العربية، وأما كتاب "بنجا تنترا" (Panca Tantra)⁸ فيشتمل على خمسة أبواب، وهي:

الباب الأول : حكاية الأسد والثور

الباب الثانى : حكاية الحمامة المطوقة

الباب الثالث : حكاية البوم والغربان

الباب الرابع : حكاية القرد والتمساح

الباب الخامس : حكاية الناسك وامرأته

وأما الأبواب الستة الفارسية التى أضيفت إلى أصل الكتاب على نمط ما جاء في كتاب كليلة ودمنة بهرامشاهي⁹ فهي:

الباب الأول : عرض الكتاب (ابتداء كليلة ودمنة)

⁸ بنجا تنترا بمعنى خمسة كتب أو خمسة فصول أو خمس رسائل أو خمسة أسفار.

⁹ محمد غفرانى الخراسانى، عبد الله بن المقفع، ص 216.

الباب الثانى : برزوية الطبيب

الباب الثالث : الناسك والضيف

الباب الرابع : البلار والبراهمة

الباب الخامس : السائح والصائغ

الباب السادس : ابن الملك وأصحابه

هذه ستة أبواب ذكرها ابن المقفع نفسه في آخر باب (مفتاح الكتاب) الذى يسمى في النسخ العربية باب (بعثه برزوية) وهنا الكلام لو كان لابن المقفع نفسه فمن المحتمل أن يكون باب (بعثه برزوية الطبيب) من أثر قلمه أيضا ولكن عدم ذكر أبواب الكتاب في آخر باب بعثه برزوية في النسخ العربية يجعلنا نشك في نسبة صحة هذه الفقرة إلى ابن المقفع وأما ذكر اسم ابن المقفع في صدر هذا الباب فإنه لا يدل على أن كل ما ورد فيه هو من كلام ابن المقفع نفسه إذ يجوز كما سبق أن قلنا: إن أبا المعالى هو الذى أضاف اسم ابن المقفع في صدر هذا الباب أو أن النسخة العربية التى اختارها أبو المعالى لترجمة كانت تحتوى على اسمه الذى لعله أضافة الناسخ ويؤيد هذا الاحتمال ما ورد في مقدمة شيخو لكتاب كليلة ودمنة ثم يكون الفرس هم الذين أضافوا هذا الباب إلى الكتاب وهذا الرأى ضعيف إذ لو كان هذا الباب من عمل الفرس أنفسهم لذكره ابن المقفع في ضمن قائمة الأبواب التى أضافها الفرس إلى الكتاب، ويؤيد ذلك أن ترجمة بود السريانية تخلص من باب (بعثه برزوية) في حين أننا لانجد أى مبرر لحذف هذا الباب في الترجمة السريانية على خلاف ما وجدناه بالنسبة لباب (برزوية الطبيب) على النمط الذى

سيأتى ذكره، وحيث إن الترجمة الفهلوية لكتاب كليلة ودمنة مفقودة، فكل ما يقال في هذا الصدد إنما هو مجرد فرض علمي يعتمد على الاستنباط والظن.

ويقول المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام: إن قصة السائح والصائغ قد وردت ضمن الباب الأول من كتاب "بنجا تنترا" (Panca Tantra) وقد عثر عليه في مجموعة من الأساطير البوذية اسمها "اسواهني" وكتاب آخر بوذي اسمه (كرماجتكا) ولاريب أنه وضع لأول مرة في الآداب الهندية¹⁰. وأما الأبواب التسعة المتبقية فتلاثة منها وفي:

- باب السنور والجرذ
- باب الملك والطير
- باب الأسد وابن أوى

مأخوذة من كتاب "المهابهارتا الهندية" (Mahabarata) وثلاثة أخرى توجد في بعض النسخ العربية دون البعض وهي:

- باب الملك والجرذات ووزرائه
- باب مالك الحزين والبطة
- باب الحمامة والثعلب وملك الحزين
- والثلاثة الأخيرة التي بتفق عليها جميع النسخ هي:
- باب الفحص عن أمر دمنة
- باب الأسد واللبؤة
- باب إيلاذ وبلاد واراخت وشادرم ملك الهند

¹⁰ تحقيق المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام، كليلة ودمنة، ص 48.

فهذه عشرون بابا تتضمنها النسخ العربية والفارسية
للكتاب على اختلاف طبعتها، وإذا اعتبرنا باب مفتاح الكتاب
- بعثه برزوية إلى الهند - أيضا بابا من أبواب الكتاب فإن
المجموع حينئذ يصبح واحدا وعشرين بابا.

الفصل الثالث : مختصر حكاية كليلة ودمنة

رأت الباحثة أنه ترد في هذا الباب مختصرا منه نص حكاية كليلة ودمنة "الأسد والثور" :

باب الأسد والثور

يُحْكِي أَنَّ رَجُلًا أَضْعَفَهُ الْكِبَرُ وَكَانَ لَهُ ثَلَاثَةُ بَنِينَ، فَلَمَّا بَلَغُوا مَرَحِلَةَ الشَّبَابِ، أَسْرَفُوا فِي مَالِ أَبِيهِمْ، وَلَمْ يَحْتَرِفُوا حِرْفَةً يَكْسِبُونَ بِهَا رِزْقَهُمْ.

حُزِنَ النَّبِيُّ لِسُوءِ فِعْلِهِمْ، وَالْمَهْمُ عَلَى تَصْرِفَاتِهِمْ، وَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ مَنْ لَا مَالَ لَهُ، يَهُونُ عَلَى أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَحَتَّهُمْ عَلَى كَسْبِ الْمَالِ، مِنْ أَفْضَلِ الطَّرِيقِ.

ذَهَبَ أَكْبَرُ الْأَبْنَاءِ لِلتَّجَارَةِ، وَكَانَ بِصُحْبَتِهِ عَرَبَةٌ يَجْرُهَا ثُورَانِ شَثْرَبَةٌ وَبَنْدَبَةٌ، وَفِي الطَّرِيقِ غَاصَ شَثْرَبَةٌ فِي الْوَحْلِ وَقَدْ بُدِلَتْ كُلِّ مَحَاوَلَةٍ، لِإِنْقَاذِهِ وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى.

إِنْصَرَفَ هَذَا الْإِبْنُ، وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَتَرَكَوْا عِنْدَ الثَّوْرِ رَجُلًا يُشْرِفُ عَلَيْهِ، وَيَثْمَا تُحِفُّ الْأَرْضُ، وَيَنْطَلِقُ الثَّوْرُ.

بَاتَ هَذَا الرَّجُلُ لَيْلَتِهِ، فَأَحْسَّ بِوَحْشَةِ الْمَكَانِ، فَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَثْرَكَ الثَّوْرَ، وَيُعَادِرَ الْمَكَانَ، فَمَا أَنْ طَلَعَ الْفَجْرَ حَتَّى إِنْصَرَفَ الرَّجُلُ، وَلَحِقَ بِصَاحِبِ الثَّوْرِ وَأَصْحَابِهِ، وَأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّ الثَّوْرَ (شَثْرَبَةٌ) قَدْ هَلَكَ.

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ، وَتَخَلَّصَ الثَّوْرُ مِمَّا كَانَ فِيهِ، وَكَانَ بِالْقُرْبِ مِنْهُ مَرْعَى خَصِيبٌ، فَأَخَذَ يَأْكُلُ وَيَرْتَعُ، حَتَّى سَمِنَ وَاشْتَدَّ، فَأَخَذَ يَحُورُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ.

وَكَانَ هُنَاكَ أَجْمَةٌ، يُقِيمُ بِهَا الْأَسَدُ مَلِكُ النَّاحِيَةِ، وَمَعَهُ صَحْبَةٌ مِنَ السِّبَاعِ وَالْوَحُوشِ، اعْتَمَدُ عَلَيْهِمْ فِي الْأُمُورِ الْمُهْمَّةِ، وَحَلَّ الْمُشْكِلَاتِ الطَّارِئَةِ، وَفِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الشِّتَاءِ الْقَارِسِ، خَارَ الثَّوْرُ

بصوت، ارتعد منه الأسد، واشتدّ فرعه وكتفه لم يحبر أحدًا مما حوله، بما أصابه، إذ كان هذا الأسد كثومًا لأسراره، لا يطلع على خفاياه أحدًا، خشية أن يصغر في عين أعوانه، والمقربين إليه. كان أعوان الأسد، طائفة من السباع والوحوش، منها الثمور والتعالب والدئاب وابنا أوى أحدهما يدعى كليلة والآخر دمنة، وكان مشهورين بالدهاء والمكر والأدب.

ظلّ الأسد في مكانه - لا يبرحه - منذ سمع صوت الثور ظنًا منه أن عدوًّا أشدّ وأقوى منه قد طرأ على مملكته، يريد الإطاحة به وأنه يعدّ نفسه للهجوم عليه، فاشتدّ خوفه، وتضاعف فرعه، وأسند إلى أحد أعوانه أمر طعامه وشرايه.

أحسن (دمنة) بأنّ الأسد، لا يخرج كعادته كل يوم، فأسر إلى أخيه (كليلة) بملا حظاته على الأسد، وأنه يريد أن يستوضحه الأمر.

فأرشدّه (كليلة) إلى أن الاقتراب من الملك، ربّما عرضة للخطر، وأفهمه بأنّه لا يقوى على هذا الأمر، لأنّ الملوك، إنّما يبوحن بأخص أسرارهم، للمقربين لديهم، وأصحاب المنزلة عندهم، وأنّ (دمنة) لم يرتفع إلى مرتبة هؤلاء.

فردّ (دمنة) على كلام أخيه، بأنّ لديه القدرة على القرب من الأسد، وأنه لا يُعَدُّ حيلة، للتوصل إلى ما أخفاه الأسد في نفسه، بشأن الصوت الذي أزعجه وهدّده في مقامه.

قال (كليلة) وكيف تصل إلى ما عزمت عليه، ودون أن يصيبك ضرر، فيه هلاكك؟

قال (دمنة): سأعرض للأسد، في هذه الفترة التي ظهر فيها ضعفه، وأتودد إليه بالكلام، فأحصل عنده على منزلة، تُقربني إليه، وحين يستشيرني في أمره، أجيبه بما يظهرني بمظهر الحريص على ما فيه نفعه، فيبوح إلى يسره.

وَإِنطَلِقَ (دِمْنَةً) حَتَّى دَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ، فَأَلْقَى السَّلَامَ عَلَيْهِ،
وَظَلَّ صَامِتًا بَيْنَ يَدَيْهِ، تَقْدِيرًا لِهَيْبَةِ الْأَسَدِ، وَإِعْزَازًا بِسُلْطَانِهِ.

فَابْتَدَرَهُ الْأَسَدُ قَائِلًا: أَيْنَ كُنْتَ؟ وَكَيْفَ حَالُكَ؟

قَالَ (دِمْنَةً) أَطَالَ اللَّهُ عُمَرَ الْمَلِكِ، إِنِّي وَافِقٌ بِبَابِكَ مُنْذُ مُدَّةٍ
طَوِيلَةٍ، فِي إِنْتِظَارِ أَوْامِرِكَ، وَلَمَّا لَمْ أَمْتَعْ بَصَرِي بِرُؤْيَا الْمَلِكِ،
اسْتَبَدَّ بِي الْقَلْقُ، وَدَاخَلَنِي الشُّكُّ، فِي أَنْ يَكُونَ فِي الْأَمْرِ شَيْءٌ، وَنَحْنُ
— مَعَاشِرَ السَّبَاعِ — حَيَاتِنَا مُرْتَبِطَةٌ بِوُجُودِكَ، وَهَلَاكُنَا مُتَوَقِّقٌ عَلَى مَا
يُصِيبُكَ.

وَهُنَا تَهَلَّلَ وَجْهُ الْأَسَدِ، وَزَالَ عَنْهُ مَا حَلَّ بِهِ، وَدَعَا دِمْنَةَ
لِيُجَالِسَهُ وَيَكُونَ قَرِيبًا مِنْهُ، فَوَجَدَ (دِمْنَةً) أَنَّ الْأَسَدَ قَدْ اطمأنَّ إِلَيْهِ،
وَأَنَّهُ — لِأَبَدٍ — كَاشِفٌ لَهُ عَنْ سِرِّهِ.

وَفِي هَذِهِ اللَّحِظَاتِ، خَارَ الثَّوْرُ بِصَوْتٍ أَخَافُ الْأَسَدَ، وَأَدْخَلَ
عَلَى نَفْسِهِ الْفَرْعَ، وَلَكِنَّ الْأَسَدَ أَظْهَرَ تَمَاسِكًا، وَأَنَّهُ لَمْ يَهْتَمَّ بِمَا سَمِعَ.
لَا حِظَ (دِمْنَةً) أَنَّ ارْتِبَاكَ حَلَّ بِالْأَسَدِ، فَابْتَدَرَهُ قَائِلًا: هَلْ أَفْزَعُ
الْمَلِكِ سِمَاعُ هَذَا الصَّوْتِ؟

قَالَ الْأَسَدُ — وَقَدْ أَمِنَ جَانِبَ (دِمْنَةً)، هَذَا هُوَ مَا أَقْلَقَنِي طِيلَةَ
هَذِهِ الْمُدَّةِ، وَمَنْعَنِي مِنَ الْخُرُوجِ — كَمَا هِيَ عَادَتِي — وَأَخْشَى أَنْ
يَكُونَ هَذَا الصَّوْتُ نَذِيرَ هُجُومٍ عَلَى مَمْلَكَتِي، أَوْ تَقْوِيضَ لِعَرْشِي.

فَكَيْفَ يُطِيبُ لِي عَيْشٌ، أَوْ يُهِنَّا لِي مَقَامٌ، وَأَنَا لَمْ أَتَّبِعْ — بَعْدَ —
مَصْدَرَ هَذَا الصَّوْتِ، وَلَمْ أَخْبِرْ بِقُوَّةِ صَاحِبِهِ الَّذِي يَصْدُرُ عَنْهُ؟
قَالَ (دِمْنَةً) — وَقَدْ أَحَسَّ بِالظَّفَرِ بِمَا أَرَادَ: لَا عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ،
سَأَكْفِيكَ هَذَا الْأَمْرَ، وَآتِيكَ بِمَا يَزِيلُ عَنْكَ الشُّكَّ، وَيَكْشِفُ لَكَ مَا خَفَى
عَلَيْكَ، فَأَنَا جَدِيرٌ بِتَحْقِيقِ هَذَا كُلِّهِ.

وَهُنَا وَدَعَا الْأَسَدُ، وَرَجَا لَهُ التَّوْفِيقَ فِي مُهِمَّتِهِ، وَالسَّدَادَ فِي
بُعَيْتِهِ.

إِنطَاقَ (دِمْنَةَ) إِلَى المَرَعَى القَرِيبِ مِنَ أَجْمَةِ الأَسَدِ، وَكُلَّهُ ثِقَةً فِي أَنْ يُظْفِرَ بِالثَّوْرِ الَّذِي طَالَمَا أَرَقَّ خُورَهُ المَلِكُ. وَأَذْهَبَ النَّوْمَ مِنْ عَيْنَيْهِ، فَبَصُرَ بِثَوْرٍ يَرْتَعُ فِي هَذَا المَرَعَى، الفَسِيحِ الخَصْبِ، يَنَالُ مَا يَشَاءُ مِنَ عُشْبِهِ، وَيُنْعِمُ كَمَا يُرِيدُ بِسَاحَتِهِ.

اقْتَرَبَ (دِمْنَةَ) مِنَ الثَّوْرِ، وَنَادَاهُ لِيَتَّعَرَّفَ عَلَيَّ حَقِيقَةَ أَمْرِهِ. فَأَفْضَى إِلَيْهِ الثَّوْرُ بِقِصَّةِ مَحِثِّهِ إِلَى هَذَا المَكَانِ، وَالظُّرُوفِ الَّتِي اضْطَرَّتْهُ إِلَى المَكْتِ فِيهِ.

فَقَالَ لَهُ (دِمْنَةَ) أَلَا تَدْرِي أَنَّكَ تُقِيمُ بِالقُرْبِ مِنَ الأَسَدِ مَلِكُ النَّاحِيَةِ، وَأَنَّهُ قَدْ أَرْسَلَنِي فِي طَلْبِكَ؟

قَالَ الثَّوْرُ: إِنَّ أُعْطِيتَنِي الأَمَانَ، ذَهَبْتُ مَعَكَ إِلَيْهِ؟ فَوَعَدَهُ (دِمْنَةَ) بِتَحْقِيقِ مَطْلِبِهِ، ثُمَّ انْطَلَقَا حَتَّى دَخَلَا عَلَى الأَسَدِ، فَسَأَلَهُ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ، وَمَا الظُّرُوفُ الَّتِي دَفَعَتْ بِكَ إِلَى هَذِهِ البِلَادِ؟

فَقَضَ الثَّوْرُ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ، فَقَرَّبَهُ الأَسَدُ إِلَى مَجْلِسِهِ، وَأَكْرَمَهُ وَاتَّخَذَهُ عُونًا لَهُ، يَسْتَشِيرُهُ فِي مَهَامِ أُمُورِهِ، وَاحْتَلَّ عَنْهُ الأَسَدُ مَنزِلَةً عَالِيَةً.

نَظَرَ (دِمْنَةَ) فَوَجَدَ أَنَّ الثَّوْرَ، قَدْ نَالَ الحُظُوةَ عَنْهُ الأَسَدِ، يَأْخُذُ بِرَأْيِهِ، وَيَأْتِمُنُهُ عَلَى سِرِّهِ، وَيَخْلُو بِهِ بَيْنَ الحَيْنِ وَالحَيْنِ.

شَكَا (دِمْنَةَ) إِلَى أَخِيهِ (كَلِيلَةَ)، كَيْفَ أَنَّ الثَّوْرَ، أَصْبَحَ مُقْرَبًا لَدَى الأَسَدِ، وَأَنَّهُ غَلَبَهُ عَلَى مَنزِلَتِهِ.

فَقَالَ لَهُ (كَلِيلَةَ) فَمَاذَا أَنْتَ فَاعِلٌ إِذْنِ؟ قَالَ (دِمْنَةَ):

لَسْتُ بِطامِعٍ فِي مَنزِلَةٍ فَوْقَ مَنزِلَتِي لَدَى الأَسَدِ، وَإِنَّمَا كُلُّ مَا أَتَمَّنَاهُ، وَأَسْعَى إِلَيْهِ، هُوَ أَنْ أَعُودَ إِلَى سَاقِ مَنزِلَتِي.

قَالَ (كَلِيلَةَ) وَكَيْفَ بَتَحَقُّقِ لَكَ مَا تُرِيدُ؟

قَالَ (دِمْنَةَ): سَأَذْهَبُ إِلَى الأَسَدِ، وَأَتَظَاهَرُ بِالحُزْنِ وَالإِكْتِنَابِ وَحِينَ يَسْأَلُنِي عَمَّا أَصَابَنِي، أُسِرُّ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ قَدْ حَدَّثَ مَا سَاءَنِي،

وَعِنْدَمَا فَعَلَ دِمْنَةَ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ أَضَافَ قَائِلًا لِلْأَسَدِ: وَلَيْتَ هَذَا الْأَمْرَ
يَتَعَلَّقُ بِغَيْرِ مَوْلَى الْمَلِكِ

قَالَ الْأَسَدُ: أَيُوجَدُ مِنْ يُفَكِّرُ فِي إِلْحَاقِ الضَّرَرِ بِي؟
قَالَ (دمنة): نَعَمْ. إِنَّهُ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْكَ، الَّذِي ائْتَمَّنْتَهُ عَلَى
سِرِّكَ.

تُغَيِّرُ وَجْهَ الْأَسَدِ، وَبَدَأَ عَلَيْهِ الْعَيْظُ، ثُمَّ قَالَ: وَمَنْ هُوَ؟
دُلَّنِي عَلَيْهِ، قَالَ (دمنة): إِنَّهُ مُسْتَشَارُكَ النَّوْرُ، الَّذِي أَمَّنْتَهُ
وَقَرَّبْتَهُ، قَالَ الْأَسَدُ فِي غَضَبٍ: وَمَاذَا حَدَّثْتَ مِنَ النَّوْرِ؟
قَالَ (دمنة): كُنْتُ بَرَفَقْتَهُ بِالْأَمْسِ، فَأَخْبِرْتُ بِأَنَّهُ قَدْ اجْتَمَعَ
بِأَكَابِرِ جُنْدِكَ، وَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ الْأَسَدَ فِي طَرِيقَةٍ إِلَى الضَّعْفِ، وَأَنَّهُ يَبْدُو
عَلَيْهِ مَظَاهِرُ الْإِعْيَاءِ، وَمَنْ أَصْبَحَ هَذَا شَأْنُهُ، لَا يَقْوَى عَلَى تَدْبِيرِ
شُؤْنِهِ، وَلَمْ يَكْتَفِ النَّوْرُ بِهَذَا، بَلْ إِنَّهُ يَعُدُّ الْعُدَّةَ لِمَهَاجَمَتِكَ، وَالْإِطَاحَةَ
بِمَمْلَكَتِكَ.

قَالَ الْأَسَدُ: وَمَا عَلَامَاتُ ذَلِكَ؟ قَالَ (دمنة): إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ
النَّوْرُ - أَيُّهَا الْمَلِكُ - فَإِنَّكَ تَرَى تَغْيِيرًا فِي هَيْئَتِهِ، وَتَرَى مَفَاصِلَهُ
تَرْتَهْدُ، وَتَرَاهُ يَتَلَقَّتْ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ يَتَجَهَّ بِقَرْنِيهِ إِلَى
الْأَمَامِ، كَمَنْ يَتَهَيَّأُ لِلنُّطَاحِ وَالْقِتَالِ.
ثُمَّ إِنَّ (دمنة) أَحَسَّ أَنَّ الْأَسَدَ، سِيرَ سُلُومًا يَأْتِيهِ بِالنَّوْرِ، لِتَأْكُدَ
مِنْ كَلَامِ (دمنة)، وَلِيَتَحَقَّقَ لَهُ مِنَ الْعَلَامَاتِ الَّتِي وَصَفَهَا لَهُ، فَقَالَ
(دمنة): لَا أَرَى الصَّوَابَ فِي لَاتِحَقُّقِ مَنْ صَدَّقَ ذَلِكَ بِنَفْسِي، فَرَضِي
الْأَسَدَ بِذَلِكَ.

ثُمَّ إِنَّ (دمنة) تَوَجَّهَ مِنْ قُورِهِ، إِلَى حَيْثُ يُوجَدُ النَّوْرُ، فَتَظَاهَرَ
بِالْحُزْنِ وَالْإِكْتِنَابِ، فَسَأَلَهُ النَّوْرُ: أَيْنَ كَانَتْ؟ وَمَا الَّذِي حَبَسَهُ عَنْهُ تِلْكَ
الْمُدَّةُ؟

تَنَهَّدَ (دمنة) وَقَالَ: لَا شَيْءَ أَحْزَنَنِي، وَأَدْخَلَ الْإِكْتِنَابَ عَلَى
نَفْسِي مِثْلُ مَا سَمِعْتَهُ مِنَ الْأَسَدِ، قَالَ النَّوْرُ: وَمَاذَا سَمِعْتَ مِنْهُ - أَيُّهَا

الصديق – المخلص؟ قال (دمنة) كنت عند الأسد في مجلس من مجالسِه، فسمعتُه يصرح لجلّسائه، أنّه ينوى الفُكّ بالثور، بعد أن سمن، وأن لحمه يكفي طعامًا له وللمقربين إليه، وقد رأيتُ أن من المروءة والوفاء: أن أحذرَكَ منه حتى تكونُ مُستعدًا لمنزلتِه، حينَ تدخلُ عليه.

ثمَّ إنَّ الثورَ توجّهَ إلى الأسدِ، وحينَ دخلَ عليه، راعِه ما رأى من العلاماتِ التي وصفها له (دمنة)، كما أثارُ الأسدُ العلاماتِ التي رآها على الثورِ، حينَ دخلَ عليه، فنشبَ بينهما القتالُ وسالتَ منهما الدماءُ، ثمَّ إنَّ الأسدَ قامَ بقتلِ الثورِ، وتمزيقةً ثمَّ جاءتِ الأتباءُ بأنَّ (دمنة) كذبَ على الأسدِ، وخدعَه، فندمَ على ما فعلَ، وأصرَ على الانتقامِ منه ثمَّ هجمَ عليه الأسدُ، وقتله شرًّا قتلةً وهذا جزاءُ من يُشعلُ الفِئنةَ بينَ المتحابينَ المتصافين.¹¹

باب الفحص عن أمر دمنة

لما انتهى الأسدُ من قتلِ صديقِه الثورِ (شتربة) أسرعَ (دمنة) إلى أخيه (كليلة) وأخبره أن خيلته قد نجحت في الإيقاع بين الأسدِ وشتربة وأنه قد انتهى من عدوِّه الثورِ، وتخلّصَ منه إلى الأبدِ. فحزنَ (كليلة) حزنًا شديدًا، وقالَ له:

لقد نهيئك عن المشى بالنميمة، والإيقاع بين الأبرياء بالكذب والزور والبهتان، حتى تتخلصَ من عدوك بهذه الحيلة الدنيئة، والفعلة الخسيسة.

لكِنَّكَ لَمْ تُنصِتْ إلی كَلَامِي، وَلَمْ تَسْتَمِعْ إلی نَصِيحَتِي،

حَتَّى وَتَسَبَّبْتَ فِي قَتْلِ فَضْحِكَ (دمنة) سَاخِرًا وَقَالَ:

¹¹ محمد محمد العبد / هشام حسين. كليلة ودكمة للأطفال الاسد والثور. دار الصحابة بطنطا.

الغاية بُرِّرُ الوَسِيلَةَ، وَلَقَدْ كَانَتْ غَايَتِي شَرِيفَةً وَهِيَ أَنْ أُسْتَرَدَّ
مَكَانَتِي الرَّفِيعَةَ عِنْدَ الْأَسَدِ، فَلَيْسَ مُهَمًّا إِنْ مَاتَ الثَّورُ أَوْ لَمْ يَمُتْ.

فَقَالَ (كَلِيلَةَ): أَنْتَ أَنْانِي وَحَقِيرٌ خَسِيسٌ، لِأَتَهْتَمُّ إِلَّا بِتَحْقِيقِ مُصْلِحَتِكَ
الشَّخْصِيَّةِ، حَتَّى لَوْ طَارَتْ رَعُوسٌ.

وَكَانَ النَّمْرُ يَمُرُّ قَرِيبًا مِنْهُمَا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، فَسَمِعَ الْمُحَاوِرَةَ
الَّتِي دَارَتْ بَيْنَ (كَلِيلَةَ) وَ (دَمْنَةَ) وَحَفَظَهَا فِي رَأْسِهِ، وَكَمَنَ حَتَّى
يَسْمَعَ بَقِيَّةَ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا، فَقَالَ (كَلِيلَةَ): لَقَدْ جَنَيْتَ عَلَى نَفْسِهِ جَنَائَةً
كَبِيرَةً، وَحَكَمْتَ عَلَيْهَا بِالمَوْتِ. إِذَا انْكَشَفَ أَمْرُكَ لِلْأَسَدِ، وَعَرَفَ
غَدْرَكَ، فَلَنْ يَكْتَفِيَ بِقَتْلِكَ، مُخَافَةَ شَرِّكَ وَغَدْرِكَ، وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ فَلَمْ
تَسْتَمَعْ لِنَصْحِي، وَلَا بُدَّ لِي مِنْ مُقَارَقَتِكَ وَالْأَبْتِعَادِ عَنْكَ.

فَلَمَّا سَمِعَ النَّمْرُ كَلَامَهُمَا، وَعَلِمَ بِخِيَانَةِ (دَمْنَةَ) لِعَهْدِهِ وَتَسَبُّبِهِ
فِي قَتْلِ الثَّورِ ابْتِعَادَ عَنْهُمَا وَهُوَ يَتَعَجَّبُ مِمَّا سَمِعَ. أَمَّا الْأَسَدُ فَإِنَّهُ بَعْدَ
أَنْ قَتَلَ الثَّورَ نَدِمَ نَدَمًا شَدِيدًا وَقَالَ:

لَقَدْ فَجَعْتُ بِقَتْلِ أَعَزِّ أَصْحَابِي، وَخَيْرِ مُسْتَشَارِي وَأَفْضَلِ
نَاصِحِ أَمِينِ لِي: كَيْفَ حَدَثَ ذَلِكَ فِي لَحْظَةِ غَضَبِ مَنِّي! رَبِّمَا كَانَ
بَرِيئًا أَوْ مَكْدُوبًا عَلَيْهِ. ثُمَّ تَذَكَّرَ كَيْفَ دَخَلَ الثَّورُ عَلَيْهِ غَاضِبًا وَثَائِرًا
فَقَالَ:

لَكِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِي، لَوْ لَمْ أَقْتُلْهُ أَنَا لَسَارَعَ هُوَ لِقَتْلِي.
وَبَعْدَ قَلِيلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ (دَمْنَةَ) فَقَالَ لَهُ:

مَاذَا يَحْزَنُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَقَدْ نَصَرَكَ اللَّهُ، وَأَهْلَكَ عَدُوُّكَ، الَّذِي
سَعَى لِقَتْلِكَ! يَحِقُّ لَكَ أَنْ تَفْرَحَ بَدَلًا مِنْ أَنْ تَحْزَنَ وَيَجْلِسَ مَهْمُومًا
هَكَذَا.

فَقَالَ الْأَسَدُ: أَنَا حَزِينٌ مِنْ أَجْلِ عَقْلِ (شتربة) وَعَلِمِهِ وَأَدْبِهِ،
وَلَا تَنْسَ أَنَّهُ كَانَ أَخْلَصَ أَصْدِقَائِي لِي بِالنَّصِيحَةِ، وَأَنَّهُ كَانَ
مُسْتَشَارِي وَكَاتِمِ أَسْرَارِي.

فَقَالَ (دمنة): الْعَاقِلُ لَا يُرْحَمُ أَعْدَاءَهُ، وَقَدْ كَانَ (شتربة) عَدُوَّكَ
لَأَنَّهُ كَانَ يَبْوَى قَتْلَكَ، وَالْإِسْتِلاءَ عَلَى مَلِكِكَ.

فَقَالَ الْأَسَدُ حَزِينًا: لَقَدْ مَضَى هَذَا الْأَمْرَ بِخَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَأَرْجُو
أَنْ أَنْسَاهُ بِسُهُولَةٍ. أَمَّا النَّمْرُ فَإِنَّهُ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ مَا دَارَ بَيْنَ (كليلة) و
(دمنة) مِنْ كَلَامٍ، وَعَلِمَ بِخِيَانَةِ (دمنة) وَغَدْرِهِ، فَإِنَّهُ تَوَجَّهَ مُبَاشِرَةً إِلَى
أُمِّ الْأَسَدِ، وَأَخَذَ عَلَيْهَا الْعَهْدَ وَالْمَوَاطِيقَ الْإِتْغَشَى مَا سَوْفَ يَبُوحُ بِهِ
إِلَيْهَا مِنْ أَسْرَارِ أَحَدٍ.

فَلَمَّا عَاهَدْتَهُ عَلَى ذَلِكَ أَخْبَارَهَا بِكُلِّ الْحَوَارِ الَّذِي دَارَ بَيْنَ
الْأَخْوَيْنِ (كليلة) و (دمنة) وَكَيْفَ أَنْ (دمنة) قَدْ خَدَعَ الْأَسَدَ وَكَذَّبَ
عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلَ (شتربة) بِذُنُوبِ ذَنْبٍ أَوْ حِنَايَةِ ارْتِكَبَهَا ثُمَّ انصَرَفَ.

فَنَهَضَتِ الْأُمُّ مُتَّجِهَةً إِلَى الْأَسَدِ فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ
وَجَدَتْهُ يَجْلِسُ حَزِينًا مَهْمُومًا عَلَى صَدِيقِهِ (شتربة) فَقَالَتْ لَهُ:

مَا هَذَا الْحُزْنَ الَّذِي يَعْלו وَجْهَكَ، وَالضِّيْقُ الَّذِي يَمَلَأُ صَدْرَكَ وَالْهَمُّ
الَّذِي يَكَادُ يَقْتُلُكَ يَا بَنِي!

فَتَنَهَدَ الْأَسَدُ فِي ضَيْقٍ، وَقَالَ فِي أَلَمٍ: يُحْزِنُنِي قَتْلُ (شتربة) وَلَا
تَنْسَى يَا أُمِّي أَنَّهُ كَانَ خَيْرَ صَاحِبٍ، وَأَفْضَلَ نَاصِحٍ، وَأَحْسَنَ مَنْ
أَسْتَشِيرُهُ فِي أُمُورِي كُلِّهَا، وَأَبْنُهُ أَسْرَارِي حُلُوهَا وَمَرُّهَا.

فَقَالَتْ الْأُمُّ مُعَاتِبَةً: وَكَيْفَ تَقْدُمُ عَلَى قَتْلِ (شتربة) دُونَ عِلْمِ أَوْ
يَقِينِ بَعْدَاوَتِهِ وَحَتَّى قَبْلَ أَنْ تُنْبِتَ خِيَانَتَهُ؟ إِنَّ هَذَا هُوَ الْحُمُقُ بَعَيْنِهِ.

وَلَوْلَا أَنْ يَلْحَقَنِي الْإِثْمُ وَيُرْكَبَنِي الذَّنْبُ بِسَبَبِ إِذَاعَةِ الْأَسْرَارِ
لَأَخْبَرْتُكَ بِمَا عَلِمْتُ.

فَقَالَ الْأَسَدُ: إِذَا كَانَ عِنْدَكَ رَأْيٌ يَا أُمِّي فِيمَا حَدَّثَ فَلَا تُخْفِيهِ
عَنِّي وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ قَدْ أَذَاعَ إِلَيْكَ سِرًّا فَأَخْبِرِينِي بِهِ. فَأَخْبَرْتَهُ الْأُمُّ بِكُلِّ
مَا أَخْبَرَهَا بِهِ النَّمْرُ، دُونَ أَنْ تَذَكَّرَ لَهُ أَنَّ النَّمْرَ هُوَ الَّذِي بَاحَ إِلَيْهَا
بِذَلِكَ.

فَعَلَّمَ الْأَسَدُ أَنَّ (دَمْنَةَ) قَدْ كَذَبَ عَلَيْهِ وَخُدَعَهُ وَأَنَّهُ مَشَى بِالْعَدَرِ
وَالْخِيَانَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ (شْتَرِبَةَ) حَتَّى أَوْقَعَ بَيْنَهُمَا. وَلَمَّا انْتَهَتْ الْأُمُّ مِنْ
حَدِيثِهَا، اسْتَدْعَى قَادَةَ جُنْدِهِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقْبِضُوا عَلَيَّ (دَمْنَةَ) بَيْنَ
يَدَيِ الْأَسَدِ، وَرَأَهُ حَزِينًا غَاضِبًا قَالَ لَهُ: مَا الَّذِي حَدَّثَ أَيُّهَا الْمَلِكُ!
حَتَّى تَأْمُرُ جُنْدَكَ فَيَأْتُوا بِي مُكَبَّلًا عَلَيَّ هَذِهِ الصُّورَةَ الْمَشِينَةَ؟

فَقَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ: مَا حَدَّثَ أَنَّ الْمَلِكَ لَنْ يَدْعُكَ تَعِيشُ بَعْدَ الْيَوْمِ
طَرَفَةَ عَيْنٍ أَيُّهَا الْخَائِنُ الْغَادِرُ الْمُخَادِعُ.

فَتَعَجَبُ (دَمْنَةَ) قَائِلًا: أَيُّ ذَنْبٍ جَنَيْتُ حَتَّى يَقْتُلَنِي الْمَلِكُ.

فَقَالَتْ الْأُمُّ: أَنْتَ أَذْرِي بِجُرْمِكَ وَأَعْلَمُ بِدَمْمِكَ.

فَقَالَ (دَمْنَةَ) مُرَاوِعًا: مِنْ الصَّوَابِ الْإِيعَاجُ الْمَلِكِ فِي قَتْلِي،
لِمُجْرَدِ كَلَامٍ كَاذِبٍ قَدْ يَكُونُ سَمِعُهُ عَنِّي. لَسْتُ أَقُولُ ذَلِكَ خَوْفًا مِنَ
الْمَوْتِ، لِأَنَّ كُلَّ حَيٍّ لَابِدٌ أَنْ يَدُوقَ الْمَوْتَ مَهْمَا طَالَ فِي الْحَيَاةِ
عُمُرُهُ.

فَقَالَ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ: إِنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ،
وَالْتَّمَا سَا لِعُذْرٍ تَفْرِئُهُ مِنْهُ.

فَقَالَ (دَمْنَةَ): وَمَا الْعَيْبُ فِي أَنْ يَلْتَمِسَ الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ عِذْرًا
يَنْجُو بِهِ مِنَ الْمَوْتِ؟ هَلْ هُنَاكَ أَعْلَى مِنَ النَّفْسِ.

فَقَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ: لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ جُرْأَتِكَ أَيُّهَا الْكَاذِبُ الْمُحْتَالُ،
وَشَدَّةِ وَقَاحَتِكَ.

فَقَالَ (دَمْنَةُ): لِأَنَّكَ تَنْظُرِينَ إِلَيَّ بَعِينٍ وَاحِدَةً، وَتَسْمَعِينَ مِنِّي
بِأَذُنٍ وَاحِدَةٍ، فَلَنْ تَصِلِي إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِيقَةِ أَبَدًا.

فَقَالَتْ الْأُمُّ مُتَعَجِبَةً: وَمَاهِي الْحَقِيقَةُ أَيُّهَا الْكُذُوبُ الْمُحْتَالُ.

فَقَالَ (دَمْنَةُ) فِي تَبَجُّحٍ: لَقَدْ سَعَى بَعْضُهُمْ بِالنَّمِيمَةِ عَلَى عِنْدِ
الْمَلِكِ، وَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ قَدْ لَفَّقَ لِي تُهْمَةً بَاطِلَةً، وَجَرِيمَةً لَمْ أُرْتَكِبْهَا.

فَقَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ غَاضِبَةً: أَلَا تَرَوْنَ هَذَا الشَّقِيَّ، الَّذِي يَحَاوِلُ أَنْ
يَصُورَ نَفْسَهُ بِصُورَةِ الْبَرِّ، مَعَ عَظْمِ ذَمِّهِ.

فَقَالَ (دَمْنَةُ) فِي تَبَجُّحٍ: الشَّيْءُ هُوَ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفَى عَنِ
نَفْسِهِ تُهْمَةً بَاطِلَةً لِحَقَّتْ بِهِ مِنْ نَمَامٍ نَحْوُودٍ.

وَوَظَلَ (دَمْنَةُ) يُجَادِلُ بِالْبَاطِلِ، وَيَنْفَى عَنِ نَفْسِهِ التَّهَمَ الْمَوْجِهَةَ
إِلَيْهِ. وَلَمْ يَطِقِ الْأَسَدُ أَنْ يَسْتَمَعَ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْحَيْلِ وَالْأَكَاذِيبِ، الَّتِي
رَاحَ (دَمْنَةُ) يَلْفَقُهَا، حَتَّى يَبْرِيءَ نَفْسِهِ. فَأُصْدِرَ أَمْرُهُ بِأَنْ يُسَلَّمَ (دَمْنَةُ)
(إِلَى الْقَاضِي، حَتَّى يُحَقِّقَ مَعَهُ، وَيُحَدِّدَ مَدَى بَرَاعَتِهِ مِنْ جُرْمِهِ، ثُمَّ
يُصْدِرُ عَلَيْهِ حُكْمَهُ الَّذِي يَرَاهُ، حَتَّى يَأْخُذَ الْعَدْلُ مَجْرَاهُ.

فَأَمَرَ الْقَاضِي بِأَنْ يُودَعَ (دَمْنَةُ) فِي السِّجْنِ، حَتَّى تَبْدَأَ إِجْرَاءَ
مُحَاكَمَتِهِ. وَهَكَذَا أُودِعَ الْحُرَّاسُ (دَمْنَةُ) فِي السِّجْنِ. وَفِي انْتِهَايَةِ اللَّيْلِ
أُرْسِلَ (دَمْنَةُ) إِلَى أَخِيهِ (كَلِيلَةَ) فَحَضَرَ إِلَيْهِ مُتَخْفِيًا.

وَلَمَّا رَأَاهُ (كَلِيلَةَ) فِي قَيْودِهِ دَاخِلَ السِّجْنِ بَكَى مِنْ مَنظَرِهِ وَقَالَ
لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ يَا أَخِي عَاقِبَةَ عَدَمِ اسْتِمَاعِكَ إِلَيَّ نُصْحِي وَمَشِيكَ بَيْنَ
النَّاسِ بِالنَّمِيمَةِ، وَقَتْلِكَ الْأَبْرِيَاءَ بِالْغَدْرِ وَالْخَدِيعَةِ.

لَقَدْ نَصَحْتُكَ لَكِنَّكَ لَمْ نَسْتَمِعْ إِلَى نُصْحِي وَلَوْ أَنِّي كُنْتُ قَدْ
قَصَرْتُ مَعَهُ فِي النَّصِيحَةِ وَوَأَفَقْتُكَ عَلَى فَعَالِكَ الْقَبِيحَةِ، لَكُنْتُ
شَرِيكَكَ فِي الْجُرْمِ وَكُنْتُ مَعَهُ الْآنَ فِي السِّجْنِ.

فَقَالَ (دَمْنَةُ): لَقَدْ تَأَكَّدْتُ الْآنَ مِنْ إِخْلَاصِكَ فِي نَصْحِي لَكِنَّي
قَدْ ارْتَكَبْتُ جُرْمِي وَلَنْ يُجْدِيَ النَّدَمُ الْآنَ. وَاسْتَمَرَ الْحَوَارِ بَيْنَهُمَا
لِفُتْرَةٍ. وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُمَا فِي السِّجْنِ فَهَدَّ مِنَ الْحِرَاسِ، فَسَمِعَ كَلَامَهُمَا
وَاعْلَمَ (دَمْنَةُ) مُجْرَمٌ وَأَنَّ (كَلِيلَةَ) بَرِيٌّ فَحَفِظَ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا مِنْ حُورٍ.
حَتَّى يَدُلِّي بِهِ إِلَى الْقَاضِي إِذَا احْتِيَاجٌ إِلَى شُهُودٍ.

وَفِي الصَّبَاحِ جَلَسَ الْقَاضِي فِي مَجْلِسِهِ وَأَمَرَ الْجُرَاسَ أَنْ
يَحْضُرُوا (دَمْنَةَ) مِنَ السِّجْنِ حَتَّى تَبْدَأَ إِجْرَاءَاتِ مُحَاكَمَتِهِ الْعَلْنِيَّةِ
وَأَلَّتِي حَضَرَهَا إِفْتِتَاحِ الْمُحَاكَمَةِ بِقَوْلِهِ:

أَيُّهَا الْجَمْعُ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الْمَلِكَ سَيِّدُ السِّبَاعِ قَدْ أَصَابَهُ الْكَثِيرُ مِنَ
الْغَمِّ وَالْهَمِّ لِقَتْلِ صَدِيقِهِ وَأَخْلَصَ أَعْوَانَهُ وَمُسْتَشَارَهُ النَّاصِحَ الْأَمِينَ
(شْتَرِبَةَ) لِأَنَّهُ يَرَى أَنَّهُ قَتَلَ (شْتَرِبَةَ) بِغَيْرِ ذَنْبٍ جَنَاهُ وَأَنَّهُ لَوْلَا كَذِبُ
(دَمْنَةَ) وَسَعِيهِ بِالْكَذِبِ وَالنَّمِيمَةِ بَيْنَهُمَا مَا قُتِلَ.

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْجَمْعِ الْحَاشِدِ الَّذِينَ حَضَرُوا لِشُهُودِ الْمُحَاكَمَةِ
وَقَالَ:

فَعَلَى أَيِّ شَخْصٍ مِنْكُمْ يَعْلَمُ أَيُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ ذَلِكَ الْخَائِنِ (دَمْنَةَ)
سِوَاءِ أَكَانَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَيَّ هُنَا وَيُخْبِرَنِي بِهِ، حَتَّى يَسْمَعَهُ
الْجَمِيعُ، وَحَتَّى تُثَبِّتُ أَنْ (دَمْنَةَ) بَرِيٌّ فَإِنْ ثَبَّتَ ذَلِكَ بَرَّأْنَاهُ وَإِنْ كَانَ
جَانِيًا حُكِمْنَا عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ عِقَابًا عَلَى قَتْلِ (شْتَرِبَةَ).

وَأَضَافَ الْقَاضِي مُحَدَّرًا: وَإِيَّاكُمْ وَشَهَادَةَ الزُّورِ أَوْ الْكَذِبَ لِأَنَّ
مِنْ إِعْظَمِ الْخَطَايَا شَهَادَةَ الزُّورِ وَمِنْ أَعْظَمِهَا أَيْضًا قَتْلَ الْبَرِيِّ بِدُونِ

ذَنْبٍ وَالسَّعْيُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةَ وَالْكَذِبَ وَالْإِيْقَاعَ بَيْنَهُمَا
حَتَّى يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَمَا حَدَّثَ.

وَمِنْ عِلْمٍ شَيْئًا مِنْ جُرْمٍ وَ (دَمْنَةَ) وَأَخْفَاهُ يَكُونُ مُشَارِكًا لَهُ فِي
الْإِثْمِ وَالْجُرِيمَةِ وَسَيِّئًا لَهُ مِثْلُ مَا يَنَالُ (دَمْنَةَ) مِنَ الْعِقَابِ. فَقَالَ (دَمْنَةَ)
مَحْذِرًا فِي تَبْجِحٍ:

مَنْ شَهِدَ بِمَا لَمْ يَرَ أَوْ يَسْمَعُ كَانَ أَشَدَّ جُرْمًا مِمَّنْ ارْتَكَبَ الْجُرْمَ
نَفْسَهُ، وَأَنَا أَحْذِرُكُمْ مِنَ الشَّهَادَةِ عَلَى زُورًا، حَتَّى تَلْفُقُوا لِي التُّهْمَةَ
وَتَرْضُوا الْأَسَدَ.¹²

فَلَمَّا سَمِعَ الْقَاضِي ذَلِكَ مِنْ لَفْظِ دِمْنَةَ نَهَضَ فَرَفَعَهُ إِلَى
الْأَسَدِ عَلَى وَجْهِهِ، فَنَظَرَ فِيهِ الْأَسَدُ فِدْعًا أُمَّهُ فَعَرَضَهُ عَلَيْهَا
فَقَالَتْ حِينَ تَدَبَّرَتْ كَلَامَ دَمْنَةَ: لَقَدْ صَارَ اهْتِمَامِي بِمَا أَتَخَوَّفُ
مِنْ إِحْتِيَالِ دَمْنَةَ لَكَ بِمَكْرِهِ وَدَهَائِهِ حَتَّى يَقْتُلَكَ أَوْ يَفْسِدَ عَلَيْكَ
أَمْرًا أَكْبَرَ مِنْ اهْتِمَامِي بِمَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ إِلَيْكَ فِي الْغَشِّ
وَالسَّهَائَةِ حَتَّى قَتَلْتَ صَدِيقَكَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ. فَوَقَعَ قَوْلُهَا فِي نَفْسِهِ
فَقَالَ لَهَا: أَخْبَرَنِي عَنِ الَّذِي أَخْبَرَكَ عَنْ دَمْنَةَ بِمَا أَخْبَرَكَ
فَيَكُونُ حِجَّةً لِي فِي قَتْلِي دِمْنَةَ. فَقَالَتْ: لِأَكْرَهَ إِفْشَاءَ سِيرِ مَنْ
اسْتَكْتَمَنِيهِ فَلَا يَهْنَأُ سِرِّي بِقَتْلِ دِمْنَةَ إِذَا تَذَكَّرْتَ أَنَّ
اسْتَنْظَهَرْتَ عَلَيْهِ بَرَكُوبَ مَا نَهَتْ عَنْهُ الْعُلَمَاءُ مِنْ كَشْفِ السِّرِّ.
وَلَكِنِّي أَطَالِبُ الَّذِي اسْتَوْدَعَنِيهِ أَنْ يَحْلِنِي مِنْ ذِكْرِهِ وَيَقُولُ هُوَ
بِعِلْمِهِ وَمَا سَمِعَ مِنْهُ.

¹² عبد الحميد عبد المقصود / عبد الشافي سيد. دمنة مجرماً: المؤسسة العربية الحديثة.

ثُمَّ انصرفت وأرسلت إلى النمر وذكّرت له ما يحقُّ
عليه من التزيين للأسد وحسن معاونته على الحق وإخراج
نفسه من الشهادة التي لا يكتمها مثله مع ما يحقُّ عليه من
نصر المظلومين وتثبيت حجة الحق في الحياة والممات. فإن
العلماء قد قالت: من كتم حجة ميت أخطأ حجة يوم القيامة.
فلمّ تول به حتى قام فدخل على الأسد فشهد عنده بما سمع من
إقرار دمنة.

فلما شهد النمر بذلك، أرسل القهد المسجون الذي سمع
إقرار دمنة وحفظه إلى الأسد فقال، إن عندي شهادة.
فأخرجوه فشهد بما سمع من إقراره. فقال لهما الأسد: ما
منعكما أن تقوموا بشهادتكما وقد علمتما أمرنا واهتمامنا
بالفحص عن أمر دمنة؟ فقال كل واحد منهما: قد علمت أن
شهادة الواحد لا توجب حكماً فكرهت التعرض لغير ما
يمضي به الحكم. حتى إذا شعد أحدنا قام الآخر. فقيل الأسد
قولهما وأمر بدمنة أن يقتل ويصلب على رؤوس الأشهاد.
ونادى المنادي: هذا جزاء من بسعى بين الملوك وبين
أجنادهم وبطانتهم بالكذب والبهتان.¹³

¹³ بيدبا الفيلسوف الهندي. كلية دمنة. دار الكتب العلمية. ص 137-139